مفاهيم كنسية

دور المرأة
في تاريخ الخلاص وحياة الكنيسة
(١)

أم كل المؤمنين

✠✚✠

لم يظهر اسم أمنا **حواء** في الكتاب إلا بعد السقوط، عندما دعاها أبونا آدم بهذا الاسم: «**لأنها أمُّ كل حي**» (تك ٣:٢٠). فهي عُرِفَت منذ البداية كامرأة ومعينة لآدم (تك ٢: ١٨-٢٥). وفيما بعد نلاحظ أن أسماء النساء في **العهد القديم** لا تظهر كثيرًا، حتى إننا لا نعرف أسماء النساء من نسل آدم وحواء أخوات قايين وهابيل وشيث، وإن قرأنا عن **بنات الناس** (تك ٦: ٢، ٤) بغير تحديد. فإذا أتينا إلى أيام نوح ودخوله مع أسرته الفُلك للنجاة من الطوفان نقرأ أسماء أولاده الثلاثة دون ذِكر أسماء زوجاتهم أو حتى اسم امرأة نوح (تك ٦:١٠، ٧:٧)، إلى أن نصل إلى إبراهيم ونقرأ لأول مرة منذ حواء عن اسم امرأة: **سارة** امرأة أبرام (تك ١١:٢٩)، ثم **هاجر** الجارية المصرية (تك ١٦:١)[١].

وبعدهن تأتي زوجات وأمهات الكبار، نذكر منهن من كان لهن دورهن في مسيرة الخلاص أو أحداث بعينها لا يمكن إغفالها. فنعرف **رفقة** (تك ٢٤: ١٥) زوجة إسحق، و**ليئة** و**راحيل** (و**بلهة** جاريتها) زوجات يعقوب (تك ٢٩: ٩، ١٦، ٢٥، ٢٩). ثم تتتالى أسماء زوجات الأسباط وأولادهم، وبينهم يوسف الذي تزوج في مصر، بعد أن ارتفع شأنه، من **أسنات** ابنة فوطي فارع

---

(١) يمكننا أن نُرجع هذا التواري للمرأة في بدايات العهد القديم وما بعده إلى ما كان يسود الحياة الاجتماعية في الفجر الإنساني: **فالرجل** هو الذي يخرج ليصيد طعامه، وهو الذي يعمل الأرض ويحفظها (تك ٢:١٥) لخدمة أسرته وحمايتها من الأخطار. و**المرأة** تنجب النسل وتربيه وترعى الأسرة في البيت وتربي الطير والماشية. فالرجل هو الأكثر ظهورًا خارج البيت، وهو الذي ينتسب إليه البنون والبنات. وتحمل العائلة اسمه. وكان من الشائع عند اليهود أن يصلي الرجل في الصباح شاكرًا الله «الذي لم يخلقه أمميًّا أو عبدًا أو امرأة» لكي نعرف النظرة إلى المرأة في العهد القديم. ويُقال إن المرأة الحرة في ذلك الوقت، سواء في الشرق أو عند اليونان، كانت هي العاهرة (!) التي تتقدم الصفوف وتتعامل مع الرجال بجرأة وندِّية (تك ٣٨:١٤، ١٥؛ يش ٢:١).

كاهن أون (تك ٤١: ٤٥، ٥٠) والتي صارت ضمن شعب الله.

ثم عرفنا **يوكابد** أم موسى النبي، و**مريم** أخته (خر ٢: ٧، ١٥: ٢٠) و**صفورة** زوجته (خر ٢: ٢١)، و**راحاب** التي كان لها دورها في دخول بني إسرائيل إلى أريحا (يش ٢ – ٦) وتباركت بأن صارت ضمن سلسلة أنساب الرب المتجسد (مت ١: ٥)، و**دبُّورة** القاضية (قض ٤:٤)؛ و**ابنة يفتاح** الشهيدة (قض ١١: ٣٠-٤٠)، و**راعوث** الموآبية و**نُعمي** حماتها (را ٢، ٤)، و**حنّة** أم صموئيل النبي (١صم ١: ٢، ٥)، و**بثشبع** زوجة داود النبي والملك (٢صم ١١: ٣) وأم الملك سليمان (٢صم ١٢: ٢٤)، و**أستير** الملكة التي أنقذت شعبها (أس ٢: ٧)، وغيرهن من بطلات الإيمان.

❍❍❍

على أن مكانة المرأة في عصر المسيح كانت أفضل كثيرًا مما قبله. والرب تسامى فوق التقاليد العتيقة، وكان مجيئه بزوغ فجر جديد في حياة المرأة[٢]. وهو تعامل في خدمته مع الكل بغير تمييز بحسب الجنس أو العرق أو المستوى الاجتماعي: «**غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُونِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ الْمَرْأَةُ مِنْ دُونِ الرَّجُلِ فِي الرَّبِّ. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ، هكَذَا الرَّجُلُ أَيْضًا هُوَ بِالْمَرْأَةِ** (وأيضًا هو من المرأة)» (١كو ١١: ١١، ١٢)، «**لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ**» (غل ٣: ٢٦-٢٨).

هكذا يلقي **العهد الجديد** ضوءًا أكثر على المرأة وإيمانها وخدمتها وحضورها المكافىء في الأحداث إلى جانب الرجل. ولما كانت **حواء** هي المرأة الأولى في **العهد القديم،** فإن **حواء الثانية،** التي كان بها تجسد ابن الله، **مريم العذراء،** هي أولى نساء العهد الجديد والتي صارت محور تطويب الأجيال (لو ١: ٤٨) كأم مخلص العالم. وبعدها عرفنا **أليصابات** (لو ١: ٥) أم يوحنا المعمدان الذي تعيَّن ليهيئ الطريق قدام المسيح (إش ٤٠: ٣، ٤١: ٣، مت ٣: ١، مر ١: ٢، لو ٣: ٢، يو ١: ٦).

كما أن جانبًا من تعاليم المسيح وأقواله جاءت من خلال تصرفات نساء أو في سياق معاملات

---

(٢) ومع هذا فإننا نلاحظ حتى في العهد الجديد ظلالًا باقية من العهد القديم، إذ يذكر فقط عدد الرجال في معجزة إشباع الجموع دون النساء والأطفال (مت ١٤: ٢١، ١٥: ٣٨؛ مر ٦: ٤٤، ٨: ٩؛ لو ٩: ١٢؛ يو ٦: ١٠).

معهن (وإن لم يذكر الكتاب أسماءهن) مثل **المرأة السامرية** (يو ٤) و**المرأة الكنعانية** (مت ١٥: ٢١-٢٨، مر ٧: ٢٤-٣٠)، و**المرأة الخاطئة** (لو ٧)، و**المرأة التي أُمسكت في زنا** (يو ٨)، و**الأرملة صاحبة الفلسين** (لو ٢١: ١-٤)، و**المرأة نازفة الدم** (مت ٩، مر ٥، لو ٨)، و**أرملة الدرهم المفقود** (لو ١٥: ٨-١٠)، و**أم ابني زبدي** (مت ٢٠: ٢٠-٢٨).

وكان الرب موضع رعاية المرأة وخدمتها. وهو لم يزل في المهد، تحمله أمه في الهيكل، سبَّحت له وتنبأت عنه **حنَّة النبية** (لو ٢: ٣٨). والرب أيام خدمته، كانت نساء كثيرات يتبعنه ويخدمنه (مت ٢٧: ٥٥، لو ٨: ٢، ٣) وينفقن عليه من أموالهن (لو ٨: ٣). وكان بيت **مريم أم مرقس** مكانًا لاجتماعات الرب مع تلاميذه واجتماعات الكنيسة (أع ١٢: ١٢). وكم استضاف الرب بيتُ **مرثا ومريم** (لو ١٠: ٣٨-٤٠). وقبل الفصح بستة أيام، دهنت **مريم أخت لعازر** بالطيب قدمي السيد قبل أن يرتفع على الصليب، والرب دافع عنها أمام من رأوا في فعلها إهدارًا لمال كان يمكن أن يعطى للفقراء، فقال: «اتْرُكُوهَا! إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ، لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ» (يو ١٢: ١-٨).

ورأينا النساء وقت آلام الرب أشجع من الرجال الذين تركوا الرب وهربوا، بينما ظلت النساء إلى جانبه ساعة شدته (مر ١٥: ٤٠) لا يفارقنه أو ينكرنه حتى الصليب والقبر (مت ٢٧: ٥٥، ٥٦، لو ٢٣: ٤٩، يو ١٩: ٥). وكن أول من ذهب إلى القبر فجر الأحد (مت ٢٨: ١، مر ١٦: ٢١، لو ٢٤: ١)، بل كانت **مريم المجدلية** أول من التقاه الرب بعد قيامته، وكلَّفها ببشارة تلاميذه الرجال (مت ٢٨: ١٠، مر ١٦: ٩، يو ٢٠: ١٦-١٨).

وكانت نساء كثيرات ينتظرن حلول الروح القدس مع التلاميذ يوم الخمسين، وقَبِلْن الروح القدس معهم أيضًا (أع ١: ١٤). ورأيناهن يكرزن ويعلّمن الرجال طريق الرب بأكثر تدقيق (أع ١٨: ٢٦)، أو يحملن رسائل الرسل (رو ١٦: ١). وكانت منهن شهيدات الإيمان والقديسات والعذارى الناسكات وأعظم التائبات والمبشرات والخادمات في كل مكان ومجال.

وعلى جانب آخر، فلا يُنكر دور المرأة كأم، كل أم، في تربية صغارها وتوجيههم. فالأم المؤمنة هي التي وضعت البذار الأولى للإيمان في نفوس من لما كبروا صاروا الآباء والأنبياء والرسل والمبشرين وقديسي الكنيسة وقديساتها وخدامها وخادماتها في العهدين، وأكثرهم وأكثرهن ممن

لا نعرف ولكنهم ولكنهن معروفات عند كلّي المعرفة.

وفي النهاية، فإن هدف هذه المجموعة من المقالات هو أن نعرض لدور المرأة المؤمنة، منذ خُلق الإنسان، في تاريخ الخلاص وخدمة الله والإيمان به والشهادة له وحياة الكنيسة، على قدر ما يتسع المجال، بحسب ما جاء في الكتاب بعهديه، وما سجله تاريخ الكنيسة على مدى الأجيال.

❍❍❍

(١) حواء

رغم ما يحيط اسم **حواء** من صفات أكثرها سلبي، فهي التي أكلت من شجرة معرفة الخير والشر، ثم أعطت آدم فأكل (تك ٣: ٦)، ووَرَّث نسله الموت[٣]، ولكنها تظل أيضًا أنها قد خُلقت على صورة الله كآدم (تك ١: ٢٧، ٥: ٢١)، ووُهبت مثله السلطان على سائر المخلوقات (تك ١: ٢٨-٣٠)، ودُعيت «**أمُّ كل حي**» (تك ٣: ٢٠). وهي صارت مثال الكنيسة: «**لأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ**» (أف ٥: ٢٣). وكما خرجت حواء من جنب آدم وهو في حالة سبات (تك ٢: ٢١)، خرجت الكنيسة من جنب المسيح المصلوب لما طُعن جنبه بالحربة بعد رقاد الموت وانبثق منه الدم (الإفخارستيا) والماء (المعمودية) (يو ١٩: ٣٤)[٤].

كما تباركت حواء أن جاء من نسلها ابن الله الذي سحق رأس الحية (تك ٣: ١٥) بتجسده من الروح القدس ومن مريم العذراء، حواء الثانية، التي غسلت بطاعتها إثم العصيان القديم وصارت أمًّا للخلاص. وكما تقول التسبحة: «**من أجل حواء أُغلِقَ باب الفردوس، ومن قِبَل مريم العذراء فُتح لنا مرة أخرى**» (ثيئوتوكية الخميس).

د. جميل نجيب سليمان
(يتبع)

---

(٣) الذي يتجاوز انفصال النفس عن الجسد، فهذا الموت تخضع له كل الكائنات الحية، نباتًا وحيوانًا، من أدناها إلى أرقاها. فلا توجد حياة أبدية على الأرض (ولا بقاءً أبديًّا للكون كلّه)، وإنما المقصود بحكم الموت بسبب الخطية هو انفصال الإنسان عن الله رئيس الحياة، وفي النهاية الموت الأبدي. وبخلاص المسيح بموته وقيامته أُتيح للمؤمن (رجلًا أو امرأة) أن يتحد بالله، وينجو من الهلاك الأبدي، «**بل تكون له الحياة الأبدية**» (يو ٣: ١٦).

(٤) من ميمر يعقوب السروجي الذي يُقرأ في الساعة التاسعة يوم الجمعة العظيمة.